المصدر: الدفاع
التاريخ : ١ فبراير ١٩٩٦

مصر وإكتشاف منابع النيل

عقيد دكتور / فطين احمد فريد على

افتتح الرئيس حسنى مبارك يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٩٥ مؤتمر قمة البحيرات العظمى الافريقية الذى يهدف الى حل مشكلتى رواندا وبورندى وعودة مليونى لاجىء شردتهم الحرب الاهلية فى بلادهم . وذكرى الرئيس حسنى مبارك فى كلمته . « اننا ممتنون لانعقاد هذا المؤتمر فى مصر حيث هناك علاقات اخوية تربط مصر مع كل من الدول المشاركة فى المؤتمر وتربطها بدول منطقة البحيرات العظمى وبشعوبها روابط قوية ومهمة ، بالإضافة إلى عامل حيوى هو نهر النيل » .

وليس بغريب على مصر ان تستضيف هذا المؤتمر على ضفاف نهرها الخالد .. فمصر هى صاحبة اليد البيضاء فى كشف منابع هذا النهر العظيم وكذا البحيرات العظمى .

بداية الكشوف

بدأت الكشوف فى عصر محمد على وبلغت ذروتها فى عهد الخديو اسماعيل .. فقد ظل نهر النيل والبحيرات العظمى مغلقا فى وجه العالم الخارجى أجيالا متطاولة قبل الفتح المصرى للسودان . وفضلا عن ذلك فقد ظلت منابع نهر النيل فى قلب القارة المجهولة فى ذلك الوقت لغزا استعطى على العلماء حله منذ عهد سحيق ذلك بأن أحدا لم يستطع السير فى النيل الابيض جنوبى ملتقى هذا النهر بالنيل الأزرق أو جنوبى قرية الليس إلى منابع هذا النهر فى الأزمان التى سبقت مجىء المصريين وإرسال حملات الكشف إلى تلك الأصقاع النائية .

وعندما ذهب ابراهيم باشا الى السودان عام ١٨٢١ لاستكمال فتحة كانت له مشروعات عظيمة يريد ان يحققها أهمها الكشف عن منابع النيل الابيض وقد صرح بذلك للرحالة الفرنسى كايو وأفضى إليه بما كان يجيش فى صدره من آمال كبيرة هى اعتلاء النيل الابيض .. ولم يمنع ابراهيم من تنفيذ هذا المشروع الضخم سوى مرضه .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الجهود الاولى فى عصر محمد على

على ان اهم ما حدث من كشوف جغرافية ابان حكم محمد على باشا كان ولاشك خروج تجريدات سليم قبودان لكشف منابع النيل الابيض . وكانت هذه التجريدة اول محاولة علمية من نوعها قام بها المصريون للكشف عن منابع النيل أثارت اهتمام العالم الخارجى بفضل مانشره قائدها البكباشى سليم فى (جر ناله) من مادة علميه جديدة عن هذا النهر العظم من طول وعمق والجزر الموجودة فيه وقد بعث أرتين بك المترجم الخاص لمحمد

○ نهر النيل والبحيرات العظمى ظلوا مغلقتين فى وجه العالم أجيالا متعاقبة قبل الفتح المصرى للسودان

على بهذا الجورنال الى المسيو جومار فنقله الى الفرنسية وقال فى مقدمة ترجمته إن « رحلة البكباشى سليم قبود ان « باكورة ثمار الحضارة التى انبعث فى مصر وضوءها منذ خمس وعشرين سنة ... وتحتوى روايتها بيانات جمة عن مجرى النيل الابيض وروافده والسكان النازلون بضفتيه والحاصلات الطبيعية المشهورة فيهما وهى صالحة ولابد ان تبقى كذلك لان تكون قاعدة للكشوف التالية » .

وكان محمد على باشا يريد الوصول الى رأى حاسم فى موضوع منابع نهر النيل ولذلك أمر فى ٢٣ نوفمبر ١٨٤٠ بارسال التجريدة الثانية بقيادة سليم قبودان وخرج معها أربعة من الأوربيين حيث وصلت فى ٢٥ يناير ١٨٤١ إلى جزيرة جانكير عند خط عرض ٤ درجات و ٤٢ دقيقة من خطوط العرض الشمالية ولم يتمكن من مواصلة السير لصعوبه السير فى مجرى النهر .. كما حاول كشف نهر السوباط ولكنه أخفق لنفس الأسباب .

ولذلك قرر محمد على خروج تجريدة ثالثة برياسة سليم قبود ان لشدة رغبته فى معرفة منابع النيل وجهاته فغادرت هذه التجريدة الخرطوم فى ٢٧

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

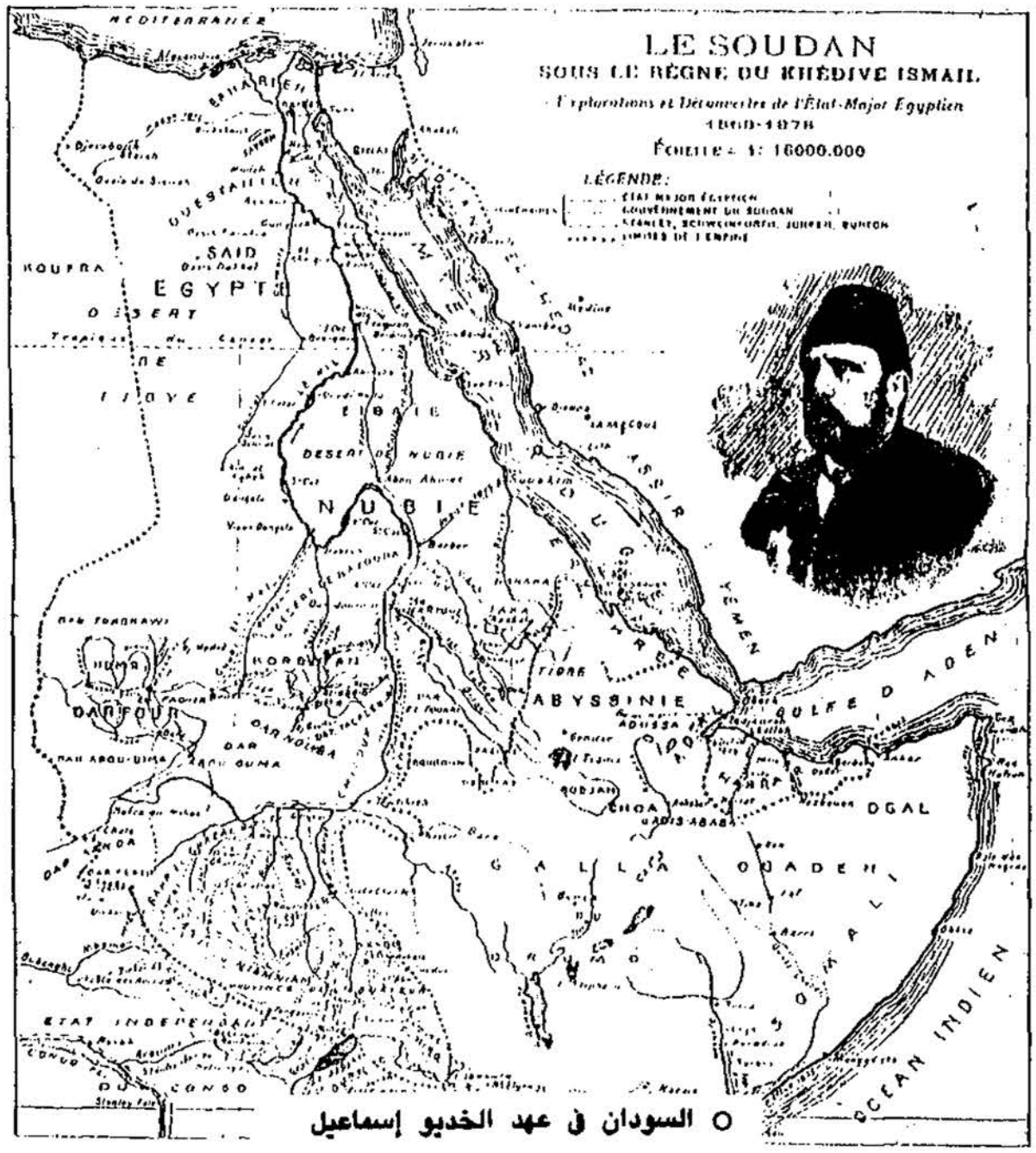

○ السودان فى عهد الخديو إسماعيل

سبتمبر ١٨٤١ وبعد جهد بلغت المكان الذى بلغته التجريدة السابقة ثم عادت إلى الخرطوم فى ٦ مارس من العام التالى دون أن تحاول كشف الوباط .

والواقع أن هذه التجريدات الثلاث إلى جانب ماجمعه رجالها من معلومات جغرافية جديدة لم تلبث أن مهدت لارتياد مناطق النيل العليا بفضل ماصار يتحدث به رجالها عن وجود الفيلة والعاج بكثرة عظيمة بالاضافة للماشية والطيور ومحصولات الارض الكثيرة ولذلك تسابقت الشركات فى ارسال الحملات للحصول على هذه الخيرات . وقد استطاع التجار والمغامرون الذين قصدوا هذه الجهات أن يجمعوا المعلومات الجغرافية الهامة .

الجهود فى عصر سعيد .

أراد سعيد باشا إعداد حملة جديدة للكشف عن منابع النيل على غرار الحملات التى قادها سليم قبودان أيام محمد على واعتمد سعيد باشا على أحد المغامرين الفرنسيين ويدعى إسكايراك دى لوتير . الا ان هذه الحملة لم تخرج لدعم جديه اسكايراك دى لوتير ، ولكن مانشر عنها استرعى أنظار كثيرين من الأوروبيين وغيرهم وتنبههم إلى ضرورة الرحلة إلى السودان لا لمجرد السياحة أو الصيد والقنص بل ولمعرفة جغرافية هذه البلاد والوقوف على حقيقه الشعوب القاطنة بها ومحاولة الوصول الى منابع النيل الأبيض فنشطت رحلات الرواد والكاشفين إلى مناطق النهر العليا واعتبر المعاصرون

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

« أن عهداً جديداً قد بدأ فى تاريخ النيل الأبيض » .

وكان من بين الذين شجعهم سعيد باشا على القيام برحلة لكشف منابع النيل الفرنسى ألفريدبينى وكان يرجو الوصول الى بحيرة فيكتوريا وتمكن من كشف جزء من إقليم بحر الغزال الا انه اخفق فى السير فى بحر الجبل الى ماوراء غند كورو .

أما صمويل بيكر فقد حصل من سعيد باشا على فرمان يطلب من جميع موظفى حكومته مساعدته فى رحلته ... وتمكن بيكر بعد مشقة من الوصول إلى مكان يسمى مباكوفيا على شاطىء بحيرة البرت الجنوبى الشرقى فى مارس ١٨٦٤ ثم سارا فى البحيرة بحذاء الشاطىء حتى مجانجو ثم اعتلى نيل فكتوريا وكشف شلالات مرشيزون .

الجهود فى عصر اسماعيل باشا

وعندما كان صمويل بيكر يجول فى مناطق النيل العليا وصل الخديوى اسماعيل إلى الحكم فى يناير ١٨٦٣ فكان ذلك مؤذنا ببدء صفحة جديدة فى تاريخ الكشف الجغرافى فى حوض وادى النيل والأقاليم السودانية . وفى هذا العهد الجديد لم يكن غرض الخديو اسماعيل مجرد الوصول إلى منبع النيل فحسب بل أراد الخديو كذلك أن يتم كشف تلك الأقطار التى ظلت مغلقة فى وجوه العالم الخارجى أجيالا طويلة فى السودان وبحر الغزال والقيام بكشوف علمية دقيقة فى أجزاء السودان الشرقى والأقاليم المطلة على ساحل البحر الأحمر الغربى وسواحل الصومال ثم مناطق النيل العليا وأخيرا إعداد خريطة شاملة لجميع الأقاليم السودانية ولم يشأ الخديو اسماعيل أن يستأثر الأوربيون وغيرهم من الأجانب بفضل المساهمة فى هذا العمل العلمى الجليل بل أراد أن يشترك مصريون فى وسعهم أن يعيدوا إلى الأذهان سيرة البكباشى سليم قبودان وكانت الرغبة فى تحقيق هذه الغاية أحد الدوافع التى دعت إلى إنشاء مدرسة أركان الحرب فى عام ١٨٦٥ تحت ادارة الكولونيل ميرشير رئيس البعثة العسكرية الفرنسية التى استقدمها الخديو اسماعيل الى مصر عام ١٨٦٤ . وفى عام ١٨٦٧ تأسست هيئة أركان الحرب العامة المصرية وكان من أهداف تأسيسها أن يتلقى الضباط المصريون العلوم التى تعدهم للقيام بأعمال الكشف الجغرافى على وجه يدعو إلى الارتياح .

وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه الاستعدادات لتهيئة النخبة الصالحة من الضباط المصريين لارسالهم فى بعوث الكشف الجغرافى الى السودان ومنابع النيل أوفد الخديو اسماعيل صمويل بيكر فى حملة إلى جهات النيل العليا حتى يخضع لسلطان الحكومة الأقاليم الواقعة إلى الجنوب من غند كورو ويقضى على تجارة الرقيق ويستبدل بها تجارة مشروعة وكذلك فتح الملاحة فى النهر من غند كورو إلى البحيرات الاستوائية العظيمة وكان معنى هذا كشف هذه الأقاليم التى يخترقها النهر والوصول إلى منابع النيل . وقد اخفق بيكر فى فتح الملاحة النهرية إلى بحيرة البرت . ولذلك استخدم الخديو انجليزياً آخر هو شارلى جورج غردون وفى ١٦ فبراير ١٨٧٤ أصدر اليه تعليمات مفصلة كان أهمها فتح

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

النهر جنوبى غند كورو للملاحة والوصول الى البحيرات الاستوائية .

ولقيت إدارة غردون نجاحا كبيرا فى المدة التى قضاها فى مأمورية خط الاستواء بين عامى ١٨٧٤ ، ١٨٧٦ وكانت أهم الكشوف الجغرافية التى حدثت تتلخص فى الآتى :

○ فى عصر إسماعيل أمكن فتح نهر النيل جنوبا عند « كورو » للملاحة والوصول إلى البحيرات الأستوائية

○ الأعمال الكشفية تمكن من رسم خريطتين إحداهما لمنابع النيل الأبيض والأنهار التى تصب فيه والثانية لأفريقيا

١ ـ تلك التى قام بها الضابط الأمريكى الكولونيل شاييه لونج الذى أوفده غردون فى عام ١٨٧٤ فى مهمة سياسية واقتصادية إلى أوغنده ثم أرسله لإنشاء سلسلة من المحطات فى أقليم مكركة نيام فى عام ١٨٧٥ . وتمكن شاييه لونج من كشف بحيرة ابراهيم أو (بحيرة كيوجا) .

٢ ـ تلك التى قام بها البلجيكى أرنست لينان دى بلفون فى الأقليم الممتد بين لادو عاصمة المأمورية الجديدة ودوباجا عاصمة أوغنده فى عام ١٨٧٥ .

٣ ـ كشوف الايطالى جسى فى اقليم بحر الغزال فى عام ١٨٧٤ ونجاحه فى الملاحة حول بحيرة البرت فى عام ١٨٧٦ .

٤ ـ هذا عدا الكشوف الأخرى التى قام بها غردون نفسه عند محاولته التقدم فى النيل الأعلى صوب بحيرة فكتوريا ثم محاولة الضابطين واطسن وشيندال الوصول إلى بحيرة البرت ونجاحهما فى كشف مجرى النهر حتى وادلاى .

وفضلاً عن ذلك فقد أرسل غردون إلى القاهرة اثباتا موقعا عليه من جسى وضباط الحملة الآخرين برفع العلم على ماجنجو فى ١٠ أبريل ١٨٧٦ ولما كانت مهمة غردون فتح المواصلات النهرية مع البحيرات فقد بدأ بعد شهور قليلة من وصوله له إلى مقر مأموريته يؤسس محطة فى الرجاف على بعد سته عشر ميلا جنوبى غندكورو حتى يتخذها قاعدة لنشاطة فى المستقبل .

وشرع غردون يكشف الطريق النهرى الى بحيرة البرت فبدأ بالجزء من النهر الواقع بين رجاف ودوفيله ففحص جنادل بدن وأسس محطة فى كرى ثم فى موجى وأتم كشف النهر بين الرجاف ومكادة والأقليم الواقع بين

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الرجاف ولابورة ورسم خريطة لهذا الإقليم . واعتزم غردون الذهاب الى بحيرة فكتوريا بدلا من البرت فتقدم الى فويرة ثم إلى مرولى وعندما انتهت مأمورية غردون فى خط الاستواء فى سبتمبر ١٨٧٦ استطاع الجنرال ستون رئيس عموم أركان الحرب أن يعد تقريرا بالكشوف الجغرافية التى تمت فى المدة بين عامى ١٨٧٤ و ١٨٧٦ ، واشتمل ذلك التقرير على الكشوف التى أتمها غردون ورجاله فى مديرية خط الاستواء وكانت **تتلخص فيما يلى :**

١ ـ كشف دقيق من النيل الابيض من غندكورو إلى بحيرة البرت .

٢ ـ كشف النيل الابيض من الخرطوم إلى غندكورو .

٣ ـ كشف بحيرة البرت فى عام ١٨٧٦ .

٤ ـ فتح الملاحة فى بحيرة البرت .

٥ ـ تحقيق مجرى نهر النيل بين بحيرة فكتوريا ومرولى وكشف بحيرة ابراهيم .

٦ ـ تحقيق مجرى نهر النيل بين شلالات كرومة وبحيرة البرت .

٧ ـ كشف فرع النيل الخارج بالقرب من بحيرة البرت والمتجه صوب الشمال الغربى .

٨ ـ كشف فرع النهر الخارج من بحيرة ابراهيم والمتجه صوب الشمال .

٩ ـ كشف دقيق للنيل بين فويرة ومرولى .

١٠ ـ كشف الأقليم الواقع بين النيل الأبيض قريبا من غند كورو .

وفضلا عن ذلك فقد اشتمل تقرير الجنرال ستون على جميع الكشوف . الجغرافية والعلمية المختلفة التى قام بها الضباط من هيئة وأركان الحرب المصرية منذ تم تنظيم هذه الهيئة حتى منتصف اكتوبر ١٨٧٦ فقد أعيد تنظيم هيئة أركان الحرب فى الجيش المصرى عندما استخدم الخديو اسماعيل الجنرال شارلس بومرى ستون ونخبة من مواطنية الأمريكيين فى عام ١٨٧٠ وقد اشترك هؤلاء وغيرهم فى أعمال الكشف الجغرافية واعداد الخرائط والرسوم الطبوغرافية فى جميع أنحاء الأقاليم السودانية يعاونهم نخبة كذلك من الضباط المصريين الذين امتاز من بينهم كثيرون نذكر منهم محمد مختار وعبد الله فوزى وعبد الرازق نظمى ومحمد عزت وحسن واصف ومحمد رؤوف . وحتى عهد الخديو اسماعيل كان هؤلاء قد أتموا كشوفا عدة ومسحوا كثيرا من الأقاليم ورسموا عدة خرائط دقيقة ووضعوا تقارير تحوى معلومات جغرافية مفصلة ثم توج هذا العمل الجليل بوضع خريطة مفصلة

○ إسماعيل باشا .. فتوحات كثيرة فى عهده .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

o السيد صموئيل بيكر باشا

لأفريقيا .

وقد توجت هذه الأعمال الكشفية برسم خريطتين كبيرتين أحداهما عن منابع النيل الأبيض والانهار التى تصب فيه لأجل المساعدة على توسيع الأعمال التجارية ببلاد السودان الشرقية التى تحت خط الإستواء ، وقد رسمها فى عام ١٨٧٠ عضو المجمع العلمى المصرى جون مانويل . أما الخريطة الثانية فهى خريطة أفريقية صنعها فى عام ١٨٧٧ حسب الاستكشافات المصرية مع الاستناد إلى أوثق المصادر الجغرافية وأشرف على ضعها الكولونيل لوكيت رئيس القسم الثالث من هيئة أركان حرب الجيش المصرى واشترك فى رسمها كل من لوكيت ومحمد مختار وعبد الله فوزى وعبد الرازق نظمى ومحمود صبرى وأحمد فايق وحسن صفوت ويوسف ضياء وابراهيم حلمى ومحمد جودت ومحمد خير الله وعلى حيدر وأحمد راشد وأما الكشوف المصرية التى اعتمد عليها هؤلاء فى رسم هذه الخريطة فكانت تلك التى قام بها هؤلاء الضباط المصريون إلى جانب غردون باشا وشاييه لونج ووارد ولوكيت ومازون والسير صمويل بيكر .

الخلاصه

هكذا نجحت مصر نجاحا كبيرا فى الكشف عن منابع النيل ، وقد حققت بهذا العمل نصرا علميا كبيرا فى كافة المجالات الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، ولا يمكن بأى حال إنكار هذا الجهد الذى قامت به مصر . واذا كان بعض المستكشفين الأجانب من أمثال سبيك وجرانت وصامويل بيكر قد ساهموا فى الكشف عن بعض الأجزاء من منابع النيل .. الا أن مصر تمكنت فيما بعد أن تنهى الكشف عن منابع النيل بإرسالها عددا من الحملات المصرية الكشفية .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية